

وبعد عرض المناسبات في هذا الشهر لنا أن نقول:

ما الذي ينبغي أن نفعله في شهر رمضان؟

الذي نفعله في هذا الشهر المبارك إما واجب وإما مندوب، فالواجب هو الصيام، والمندوب هو القيام.

والصيام - كلنا يعرف - هو الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس تعبدًا لله، دليله قوله تعالى: ﴿فَالْفَن بَشَرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتُوا الصِّيَامَ إِلَى الْبَيْتِ﴾ [البقرة: 187].

والغرض من الصيام ليس ترويض البدن على تحمل العطش وتحمل الجوع والمشقة، ولكن هو ترويض النفس على ترك المحبوب لرضا المحبوب. والمحبوب المتروك هو (الأكل والشرب والجماع)، هذه هي شهوات النفس.

أما المحبوب المطلوب رضاه فهو (الله عز وجل)، فلا بد أن نستحضر هذه النيّة أننا نترك هذه المفطرات طلبًا لرضا الله عز وجل.

والحكمة من فرض الصيام على هذه الأمة قد بيّنها الله سبحانه وتعالى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: 183]، و﴿لَعَلَّ﴾ هنا للتعليل، أي: (لأجل أن تتقوا الله)، فتركوا ما حرم الله، وتقوموا بما أوجب الله.

وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ وَالْجَهْلَ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ».

أي أن الله لا يريد أن ندع الطعام والشراب، إنما يريد منا أن ندع قول الزور والعمل به والجهل، ولهذا يندب للصائم إذا سبّه أحدٌ وهو صائم أو قاتله فليقل: (إني صائم)، ولا يردّ عليه؛ لأنه لو ردّ عليه لردّ عليه الأول ثم ردّ عليه ثانيًا، فيرد الأول، ثم هكذا يكون الصيام كله سبًا ومقاتلة، وإذا قال: (إني صائم)، أعلمَ الذي سبّه أو قاتله بأنه ليس عاجزًا عن مقابلته ولكن الذي منعه من ذلك الصوم، وحينئذٍ يكفّ الأول ويخجل، ولا يستمر في السبّ والمقاتلة.

هذه هي الحكمة من إيجاب الصيام، وإذا كان كذلك فينبغي لنا في الصوم أن نحرص على فعل الطاعات من الذكر، وقراءة القرآن، والصلاة، والصدقة، والإحسان إلى الخلق، وبسط الوجه، وشرح الصدر، وحسن الخلق، كل ما نستطيع أن نهذب أنفسنا به فإننا نعمله.

فإذا ظلّ المسلم على هذه الحالة طوال الشهر، فلا بد أن يتأثر ولن يخرج الشهر إلا وهو قد تغيّر حاله، ولهذا شرع في آخر الشهر أن يُخرج الإنسان زكاة الفطر تكميلًا لتزكية النفس؛ لأن النفس تزكو بفعل الطاعات وترك المحرمات، وتزكو أيضًا ببذل المال، ولهذا سُمّي بذل المال زكاة.

المصدر: 48 سؤالاً في الصيام - للعلامة محمد بن صالح العثيمين رحمه الله

ما يجب أن نفعله في

رمضان

لفضيلة الشيخ العلامة

عبد الرحمن بن صالح العثيمين

رحمته الله

شهر رمضان عظيم مبارك، أنزل الله فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان، وجعل صومه ركناً من أركان الإسلام، وقيامه نافلة تزداد بها الحسنات، وتكون سبباً في النجاة من النيران. ففي الصحيحين عن رسول الله ﷺ أن «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَمَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا» أي إيماناً بالله عز وجل، وإيماناً بشريعة الله وقبولاً لها، وإذعاناً واحتساباً لثواب الله الذي ربَّه على هذا الصيام وكذلك القيام، فمن قام رمضان أو ليلة القدر متصفاً بهذين الوصفين - **الإيمان والاحتساب** - غَفَرَ الله له ما تقدم من ذنبه، وإننا إذا نظرنا إلى الماضي وجدنا أن هذا الشهر المبارك صارت فيه مناسبات عظيمة، يفرح المؤمن بذكرها ونتائجها الحسنة.

المناسبة الأولى: أن الله تعالى أنزل فيه القرآن، أي ابتداء إنزاله في هذا الشهر وجعله مباركاً، فتح المسلمون به أقطار الأرض شرقاً وغرباً، واعتزَّ المسلمون به وظهرت راية الإسلام على كل مكان.

ولا يخفى علينا جميعاً أن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه أي إليه بتاج كسرى من المدائن إلى المدينة محمولاً على جملين، كما ذُكِرَ ذلك في التاريخ، وضع بين يديه رضي الله عنه، لم ينقص منه خرزة واحدة، كل هذا من عزة المسلمين وذلة المشركين والله الحمد، وإننا لو اتقنوا أن الأمة الإسلامية سترجع إلى القرآن الكريم، وستحكم به، وستكون لها العزة بعد ذلك إن شاء الله.

ولكن لابد لجاني العسل من قرص النحل، ولجاني الورد من الشوك، لابد أن يتقدم النصر امتحان لمن قاموا بالإسلام والدعوة إليه، لأن الله تعالى قال في كتابه: ﴿وَأَنبَلُوا نَفْسَكُمْ حَتَّى تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالضَّعِيفِينَ وَتَتَّبِعُوا أَمْرًا كُفً﴾ [محمد]، وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مِّثْلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُونَ﴾ **الْبَاسَاءَ وَالضَّالَّةَ وَزَلُّوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ ۚ إِنَّا نَصْرُ اللَّهِ قَرِيبٌ** ﴿١٧١﴾ [البقرة].

المناسبة الثانية في هذا الشهر المبارك: غزوة بدر، وكانت غزوة بدر في السنة الثانية من الهجرة، وكان سببها أن رسول الله ﷺ سمع أن عيراً لقريش يقودها أبو سفيان قادمة من الشام إلى مكة، فلم علم بذلك ندب أصحابه السريع منهم أن يخرجوا إلى هذه العير من أجل أن يأخذوها؛ لأن قريشاً استباحوا إخراج النبي ﷺ وأصحابه من ديارهم وأموالهم، ولم يكن بينهم وبين النبي ﷺ عهد ولا ذمة، فخرج ﷺ إلى عيرهم من أجل أن يأخذها، وخرج بعدد قليل، ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، لأنهم لا يريدون الحرب، ولكنهم يريدون أخذ العير فقط، فلم يخرجوا إلا بهذا العدد القليل ومعهم سبعون بعيراً يعتقبونها وقرسان فقط.

أما أبو سفيان الذي كانت معه العير، فأرسل إلى أهل مكة يستحثهم، ليحموا عيرهم ويمنعوها من رسول الله ﷺ، فخرج أهل مكة بحددهم وحديدتهم وكبرياتهم وبطريهم، خرجوا كما وصفهم الله بقوله: ﴿خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيعَةً النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ يَمَّا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [الأنفال].

وفي أثناء الطريق بلغهم أن أباسفيان نجا بغيره من النبي ﷺ، فاستشار بعضهم بعضاً، هل يرجعون أو لا يرجعون، فقال أبو جهل - وكان زعيمهم - والله لا

نرجع حتى تقدم بدرأ فتقيم عليها ثلاثاً، نحرق فيها الجذور، ونسقى فيها الخمر، وتعزف علينا النيران، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابونا أبدأ.

فهذه الكلمات تدل على الكبرياء والغطرسة، والثقة بالباطل ليدحض به الحق... والتقوا بالنبي ﷺ بحددهم وحديدتهم وكبرياتهم وبطريهم وقوتهم، وكانوا ما بين تسعمائة وألف، أما النبي ﷺ وأصحابه فكانوا ثلاثمائة وبضعة عشر رجلاً، والتقت الطائفتان، جنود الله عز وجل وجنود الشيطان، وكانت العاقبة لجنود الله عز وجل، قتل من قريش سبعون رجلاً من عظمائهم وشرفائهم ووجهائهم، وأسر منهم سبعون رجلاً، وأقام النبي ﷺ ثلاثة أيام في عرصة القتال كعادته، بعد الغلبة والظهور، وفي اليوم الثالث ركب حتى وقف على قليب بدر التي ألقي فيها من صناديد قريش أربعة وعشرون رجلاً، وقف على القليب يدعوههم بأسمائهم وأسماء آبائهم، يقول: «يا فلان ابن فلان، هل وجدت ما وعد ربكم حقاً، إني وجدت ما وعدني ربي حقاً». فقالوا: يا رسول الله، كيف تكلم أناساً قد جُفِّقُوا؟ - أي صاروا جيفاً - قال: «ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستحيون»، أو قال: «لا يرجعون قولاً» ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة النبوية منتصراً والله الحمد.

المناسبة الثالثة: فتح مكة، كانت مكة قد استولى عليها المشركون وخربوها بالكفر والشرك والعصيان، فأذن الله سبحانه وتعالى لنبيه ﷺ أن يُقاتل أهلها وأحلها له ساعة من نهار، ثم عادت حرمتها بعد الفتح كحرمتها قبل الفتح، ودخلها النبي ﷺ في يوم الجمعة في العشرين من شهر رمضان عام ثمانية من الهجرة، مظفراً منصوراً حتى وقف على باب الكعبة وقريش تحته ينتظرون ماذا يفعل بهم، فقال لهم: «يا قريش، ما ترون أني فاعل بكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم. فقال النبي ﷺ: «اذهبوا فأنتم الطلقاء». فمَنَّ عليهم بعد القدرة عليهم، وهذا غاية ما يكون من الخُلُق والعفو.